آثار القدس المزورة

عصابات وفضائح ومحاكمات

إعداد

أ.د. عصام سخنيني

مقدمة

ما عادت الحكايات التي تضمنها <الكتاب> العبراني عن تاريخ القدس القديم لتقنع أحدا في العالم من الباحثين الجادين. فعند تعريض تلك الحكايات على محك النقد العلمي يتبين بالتأكيد أنها تنتمي إلى جنس الخرافات والأساطير. كذلك ارتد ما يسمى علم الآثار <الكتابي> Biblical Archaeology خائبا بعد أن فشل في العثور على أي دليل مادي في باطن أرض القدس أو على سطحها يثبت ما ترويه الحكايات <الكتابية> عن صلات اليهود بها عبر تاريخها القديم. وتحت وطأة هذا الفشل ولد على فراش هذا "العلم" عمليات غش وتزييف وتزوير واسعة النطاق كان محورها الموضوعات نفسها التي هي في صلب اهتمام "علم الآثار <الكتابي>"، غير أن وسائلها اختلفت نوعا ما. فبدل البحث عن آثار لُقى مهمتها إثبات مصداقية الحكايات <الكتابية>، اتجهت هذه العمليات نحو اصطناع آثار ولقى لتحقيق هذه الغاية. والطريقة المتبعة في عمليات التزييف والتزوير هذه أن تُقرأ الحكاية <الكتابية>، فلها السبق، ثم يُصنع من وحيها "مجسم" من حجر أو طين أو معدن يُجعل برهانا ماديا على الحكاية. وأحيانا تختلف الطريقة. فقد يجد

المنقبون الآثاريون بالفعل "شيئا ما"، غامضا أو مجهول الهوية أو ليس له صلة بالحكايات <الكتابية>، فيذهب المزيفون إلى استنطاقه باللغة التي يريدون، ويفرضون عليه قسرا تفسيرهم المستوحى من التاريخ <الكتابي>.

الغش في قراءة الآثار وتفسيرها

سوف نعرض هنا أولا أمثلة على الطريقة التي استنطق بها أربابها بعض هذه اللقى المتصلة بالقدس باللغة التي شاءها لهم هواهم وفسروها في ضوء معتقداتهم <الكتابية>، ثم بعد ذلك نفرد قسما من هذا الفصل لتفحص الآثار المخترعة.

المثل الأول والأكثر دلالة على هذه الطريقة في تفسير الأشياء هو ما يعرف بنقش **تل دان الذي** أريد به إثبات وجود أسرة كانت تحكم في أورشليم وأيضا في السامرة تنتمي إلى داوود مصداقا للرواية <الكتابية>. ينسب هذا النقش إلى **تل دان** (وهي قرية تل القاضي العربية في شمال فلسطين)، حيث اكتشف هذا النقش فيها. وقد كان وراء هذا "الاكتشاف" عالمان من علماء إسرائيل المرموقين هما عالم الآثار أبراهام بيران Avraham Biran، والعالم بالنقوش الآرامية جوزيف ناڤيه Joseph Naveh. والنقش مكون من كسرتين (إحداهما "اكتشفت" في تموز ١٩٩٣ والأخرى في حزيران ١٩٩٤)[1] وقد اعتبرتا نصبا حجريا يعود لأحد ملوك دمشق الآراميين في القرن التاسع قبل الميلاد وقد سجل عليه بعض انتصاراته في حروبه في المنطقة.

وموطن الاحتفاء كان ورود تعبير (ب ي ت د و د) في النقش وقد كتب بالآرامية (ورسم بالأحرف اللاتينية bytdwd) وفهم على أنه (بيت

داوود)، ليستدل منه على الأسرتين الحاكمتين في كل من السامرة ويهوذا المتحدرتين زعما من الملك داوود. واستطرادا لذلك ربط ما بين هذا النقش والحكايتين الواردتين في الإصحاحين ٢٠ و٢٢ من سفر الملوك الأول عن هزيمة آخاب ملك السامرة (أو إسرائيل) ويهوشافاط ملك يهودا (أورشليم) أمام من يسميه هذان الإصحاحان "بن هدد" ملك دمشق الآرامي.

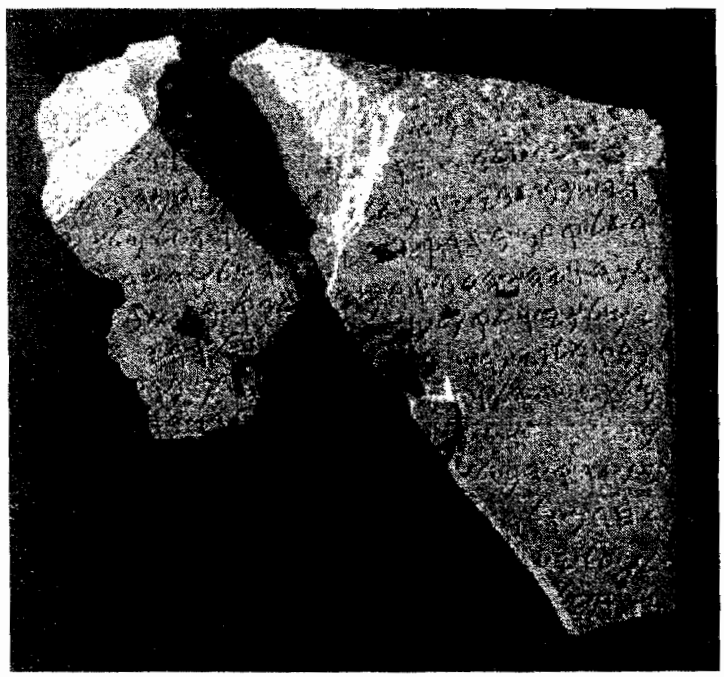

نقش تل دان

غير أن هذا النقش الذي عد أول وثيقة من "مصدر مستقل" تثبت الصلة ما بين الرواية <الكتابية> والآثار لم يستطع أن يقف صامدا أمام النقد الصارم الذي وجه له والذي شارك فيه علماء آثار ولاهوت ولغات سامية قديمة ونقوش (إبيغرافيا) أظهروا ما فيه من غش وتزييف خاصة في القراءة

الخاطئة التي قرأ بها "مكتشفاه" النص والتي ذهبت إلى التأكيد على فهم (ب ي ت د و د) بأنه يعني مملكة نسل داوود[٢]. وأكثر من ذلك فقد ذهب جيوفاني غاربيني، استاذ الساميات بجامعة روما، بعد أن درس النقش دراسة معمقة، إلى اتهام مكتشفي النقش الإسرائيليين بيران ونافيه بأنهما هما اللذان كانا وراء التزييف[٣].

المثل الثاني ختم "اكتشفته" الآثارية الإسرائيلية إيلات مازار Eilat Mazar وقرأته بطريقة مستهجنة أرادت بها أن تثبت إحدى حكايات <الكتاب>. وجدت مازار الختم في أثناء تنقيباتها في ما يعرف **بجبل أوفل** خارج أسوار القدس (في الجهة الجنوبية الشرقية) وأعلنت عنه في شهر كانون الثاني من عام ٢٠٠٨[٤].

ختم تامح

جاء في وصف هذا الختم أنه مصنوع من حجر أسود بطول ٢,١ سم وعرض ١,٨سم، ومنقوش عليه رسم لكاهنين ملتحيين بينهما مبخرة، وفي أعلى النقش هلال وهو رمز "سين" إله البابليين الأكبر، أما في الجزء الأسفل من الختم فقرأت مازار ثلاثة حروف كتبت بالعبرية هي (ت م ح). وقد عللت

مازار الرموز الدينية البابلية على الختم بأنه كان مستوردا من بابل، لكن دون الحروف العبرية التي نقشت في وقت لاحق في القدس.

أهمية هذه الحروف الثلاثة، كما أوضحتها مازار، أنها اسم أسرة "تامح" التي كانت من جملة أسر أخرى اصطحبت نحميا عند قدومه من بابل في القرن الخامس قبل الميلاد (وفق الحكاية <الكتابية>) بأمر من ملكها لإعادة إعمار أسوار القدس التي كانت قد دمرت عند تدمير الهيكل الأول. وتعلق مازار على هذا "الاكتشاف" بقولها: "إن ختم أسرة تامح يؤكد لنا الصلة المباشرة بين علم الآثار والمصدر <الكتابي>. فهو دليل ملموس يعود إلى اسرة معروفة جاء ذكرها في <الكتاب>. ولا يستطيع المرء إلا أن يندهش لمصداقية المصدر <الكتابي> كما هي ظاهرة في هذه اللقية الآثارية".

غير أن فرحة إيلات مازار بلعبتها لم تطل كثيرا، إذ تبين، بعد أن أعاد النظر في الختم علماء آخرون، أنها ارتكبت خطيئة علمية عندما قرأت الاحرف الثلاثة من اليمين إلى اليسار، وهي الطريقة التي تكتب بها اللغة العبرية، بينما القاعدة في جميع النقوش على الأختام أن تكون الكتابة معكوسة (أي من اليسار إلى اليمين في اللغة العبرية)، فعندما يطبع الختم على مادة، كطين مثلا، تظهر الحروف في سياقها الصحيح أي من اليمين إلى اليسار، كما يحدث عند انعكاس صورة جسم في المرآة. وهكذا عندما قرأ هؤلاء العلماء الأحرف من جديد (من اليسار إلى اليمين) تبين لهم أنها أربعة أحرف، لا ثلاثة كما ادعت مازار، وهي (ش ل م ت). وبالتأكيد كانت تلك خيبة أمل كبيرة لمن يريدون أن يلبسوا القدس اللباس الذي فصله لها كتبة <الكتاب>.

المثل الثالث على خطل هذه الطريقة في تفسير اللقى الآثارية بحيث تثبت شيئا ما في حكايات <الكتاب> الشيكل الذي أعلن عن اكتشافه في شهر آذار من عام ٢٠٠٨ والذي كان صاحبه في القرن الأول الميلادي ذاهبا به إلى الهيكل لكي يدفعه هناك كضريبة عن نفسه.

وقبل أن نعرض لخبر هذا الشيكل نستدرك بالقول بأن الشيكل دخل التراث اليهودي، وبذلك فهو ليس أصيلا فيه، من أنظمة النقد والأوزان التي كانت سائدة في المنطقة قبل الوجود اليهودي نفسه. إذ يعود أقدم استخدام لكلمة شاكل أو شاقل إلى نحو العام ٣٠٠٠ ق.م عندما دلت بها حضارات ما بين النهرين آنذاك على وزن معين تعارفت عليه بهذه الكلمة. وقد تطور الاستخدام من الدلالة على وزن لكي تطلق الكلمة على عملة ذات وزن معين، بحيث أصبح الشاكل أو الشاقل "وحدة نقد" شاع استخدامها عند أقوام كثيرة منها الأدوميون والأنباط والفرس والفينيقيون. ومن هؤلاء دخلت "وحدة النقد" هذه في التراث اليهودي. أما الضريبة التي اشرنا إليها فهي ما تدفع سنويا – حسب شريعة <الكتاب> – للهيكل، إما لبنائه كما هي الحكاية عن بناء "الهيكل الثاني"، أو للإنفاق على صيانته وتجديد تأثيثه إذا كان قائما، وهي تبلغ نصف شيكل سنويا عن كل فرد.

وبعد هذا الاستدراك نعود إلى خبر هذا الشيكل الذي وجد في القدس(٥). وجدت هذه اللقية في أثناء حملة تنقيب في المجاري التي تعود إلى زمن الهيكل الثاني (وفق التعبير المستخدم) والتي تقع فيما يسمى بمدينة داوود في القدس. وكان يدير هذه الحملة إلي شكرون Eli Shukron من سلطة الآثار الإسرائيلية، وروني رايخ Ronny Reich من أساتذة علم الآثار في جامعة حيفا. ما وجده هذان "العالمان" قطعة نقد فضية وزنها ١٣ غراما وقد ضربت

في مدينة صور سنة ٢٢ ميلادية، وعلى أحد وجهيها صورة رأس ميلكارت، كبير آلهة صور الفينيقية، وعلى الوجه الآخر صورة نسر يقف على مقدمة سفينة.

ليست هناك إذن أية رموز دينية يهودية على قطعة النقد هذه تدل على صلتها بالهيكل، فكيف تأتى الاستنتاج بأن تكون هذه مخصصة لتلك الضريبة الدينية؟ إلي شكرون يروي لنا سيناريو يفسر به هذه الصلة:

"تماما مثلما يحدث في هذه الأيام أن تسقط أحيانا قطع نقود من جيوبنا وتتدحرج في فتحات المجاري التي تقع على جوانب الشوارع، كذلك حدث قبل ألفي سنة عندما كان رجل ذاهبا في طريقه إلى الهيكل ومعه الشيكل الذي ينوي أن يدفع منه ضريبة نصف الشيكل، فسقط منه ووجد طريقه إلى قناة المجاري".

وهو سيناريو فيه من الطرافة بقدر ما فيه من قلة الحياء العلمي.

المثل الرابع في هذا السياق الكسر الفخارية التي وجدت قرب مسجد الصخرة في الحرم القدسي الشريف، والتي أريد بها الاستدلال على موقع الهيكل الأول. وقد وجدت سلطة الآثار الإسرائيلية هذه الكسر في أثناء حملة تفتيش كانت تقوم بها على أعمال الصيانة التي كانت مديرية أوقاف القدس الإسلامية تنهض بها في الزاوية الجنوبية الشرقية من الرصيف المرتفع (الدكة) الذي يحيط بقبة الصخرة.

كسر فخارية وجدت في الحرم القدسي

والكسر هي تسع شظايا من بقايا أوان فخارية مهشمة أكبرها بطول لا يتجاوز سنتمترين وبعرض نحو من سنتمتر واحد. وقد أسرعت سلطة الآثار الإسرائيلية بعرض هذه الشظايا على مجموعة من علماء الأثار الإسرائيليين (يوفال باروخ Yuval Baruch من السلطة نفسها، وساي جتين SyGittin مدير معهد وليام أولبرايت للبحث الآثاري في القدس، وإسرائيل فنكلشتاين Israel Finkelstein الأستاذ في جامعة تل أبيب، ورونى رايخ Ronny Reich الأستاذ في جامعة حيفا) الذين قرروا أن هذه الشظايا تعود إلى ما بين القرن الثامن والقرن السادس قبل الميلاد، أي إلى فترة الهيكل الأول حسب الكرونولوجيا <الكتابية>.

ورأى هؤلاء أيضا أن هذه الشظايا سوف تساعد الباحثين في تعيين موقع الهيكل الأول وتحديد مساحته. وقد أعلنت سلطة الآثار الإسرائيلية عن نيتها تنظيم مؤتمر علمي لدراسة هذه الشظايا وإظهار أهميتها الآثارية[٦].

وهكذا عندما يعز الدليل يتمسك الآثاريون الإسرائيليون بحبال الهواء، أو بنتف من فخار، ليثبتوا تاريخا لم يكن.

اصطناع الآثار

تلك كانت أمثلة على ذلك الجانب من عملية الغش التاريخي التي استنطقت اللقى الآثارية بلغة تؤيد بعض ما جاء في الحكايات <الكتابية>. غير أن عملية الغش هذه كانت أوسع في جانبها الآخر الذي شمل اصطناع لُقى وخلقها من عدم لإثبات صدق هذه الحكايات.

وقد نالت القدس النصيب الأوفى في هذه العملية. فمثلما انصب الجهد على تزييف تاريخها، توسعت أيضا صناعة اللُقى وتشعبت لتكون شاهدة على هذا التاريخ المزيف.

وندرج فيما يلي قائمة بأبرز هذه اللُقى التي لها صلة بالقدس، والتي جرى التسليم بتاريخيتها على مدى سنوات عديدة إلى أن ثبت مؤخرا بالدليل العلمي المؤكد أنها مزورة:

(١) الرمانة العاجية[٧]:

مجسم من العاج على شكل رمانة بارتفاع نحو من أربعة سنتمترات، مثقوبة من الأسفل، قيل إنها كانت رأس صولجان يستخدمه الكهنة في الطقوس الدينية في الهيكل. ما برر هذا القول كتابة عليها منقوشة تقول: "مكرسة بقداسة للكهنة. هيكل يهوه". كان أول ظهور للرمانة في القدس في العام ١٩٧٩ عندما عرضها تاجر عاديات على أندريه لومير André Lemaire، أستاذ علم النقوش في جامعة السوربون، الذي قرر بعد فحصها أنها حقيقية، ونشر عنها مقالا في مجلة علمية فرنسية (Revue Biblique)، وأعقبها بمقالة أخرى (١٩٨١) في مجلة Biblical Archaeology Review بناء على طلب من صاحبها ورئيس تحريرها هرشل شانكس.

الرمانة العاجية

اختفت الرمانة بعد تسليط الأضواء عليها مدة أربع سنوات، ظهرت بعدها في باريس في العام ١٩٨٥ (والواضح أنها قد هربت من إسرائيل إلى هناك) في معرض للآثار القديمة لتختفي بعد ذلك مدة سنتين.

وقد اهتم المتحف الإسرائيلي بهذه الرمانة وعقد صفقة مع مالكها (في عام ١٩٨٧) ، الذي جرى تعتيم على اسمه، اشتراها منه بمبلغ ٥٥٠ ألف دولار تبرع به "محسن" من بازل في سويسرا، لم يعلن عن اسمه أيضا، وأرسل المتحف أحد أبرز علماء النقوش الإسرائيليين (نحمان افيجاد Nahman Avigad) إلى سويسرا لفحص الرمانة واستلامها فقرر أنها حقيقية. ومنذ عام ١٩٨٨ عرضت في المتحف الإسرائيلي وقد احتفي بها إذ إنها الوحيدة في ممتلكاته التي اعتبرت أنها تنص صراحة على وجود الهيكل.

(٢) نقش يهوآش[٨]:

النقش عبارة عن لوحة من حجر البازلت المائل إلى السواد على شكل مستطيل بأبعاد ٦١×٣٠×٨ سم. وهو يحتوي على نص من ١٥ سطرا كتب باللغة العبرية القديمة بأحرف فينيقية.

الجزء الأعلى من اللوحة مكسور وبذلك سقط منها اسم الملك الذي ينسب إليه النقش وهو يهوآش (وفق ما يرسم الاسم في الترجمة العربية <للكتاب>، بينما يرسم في اللغة الإنجليزية Jehoash). غير أن أصحاب النقش استدلوا على صاحبه المزعوم من أن السطر الثاني في النقش ابتدأ بكلمة "هزياهو" وهي اسم أبي يهوآش لكن تنقصه الألف في البداية. فالاسم

كما يرد في العبرانية هو "أهزياهو"، بينما ترسمه الترجمة العربية <للكتاب> "أخزيا"، ويرد في الترجمات الإنجليزية برسم Ahaziah.

وعلى هذا جرى افتراض أن السطر الأول من النقش الذي ضاع نتيجة الكسر الذي أصاب أعلى اللوحة كان يتضمن "يهوآش بن"، وبهذا نسب النقش إلى يهوآش بن أخزيا (وفق رسم الاسم في الترجمة العربية <للكتاب>)، وافترض أنه صنع في القرن التاسع قبل الميلاد.

ويغطي اللوحة غشاء تعتيق patina تظهر فيه ذرات كربونية، وأيضا ذريرات من الذهب الخالص. وقيل إن ذرات الكربون كانت قد علقت بالنقش نتيجة لاحتراق المعبد على يد البابليين، أما ذريرات الذهب فكانت قد علقت بالنقش من تطاير صفائح الذهب المذاب في عملية الاحتراق هذه، وهي كانت تغطي جدران الهيكل كما تزعم الحكاية <الكتابية>.

وقد جاء النص المنقوش في اللوحة بصيغة المتكلم المفرد، بمعنى أن يهوآش كان هو نفسه يتحدث عن العمل الذي قام به وسجله على الحجر. وقد قرئ النقش وترجم على أن يهوآش بسط يده لجمع الفضة من كل مكان في يهودا لكي يدفع ثمن الحجارة والخشب وقضبان البرونز لترميم البيت المقدس (الهيكل)، وهو قد فعل ذلك في البيت نفسه وفي أبوابه وممراته، ويختتم بوعد بالبركة من يهوه (اسم الإله العبراني).

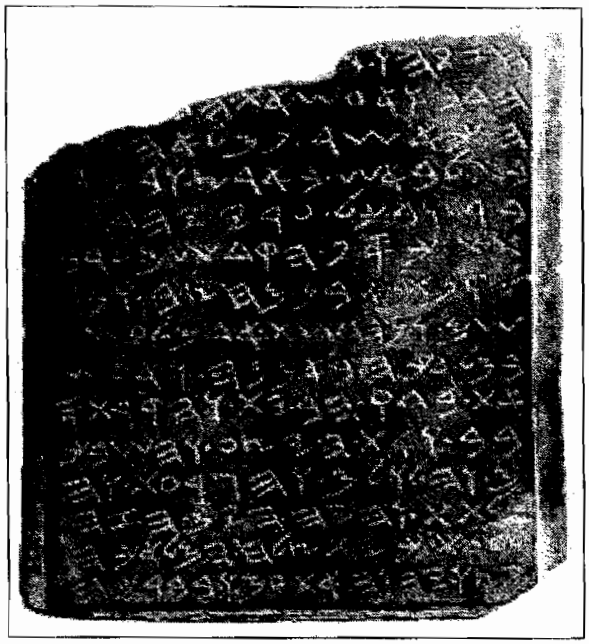

نقش يهوآش

وسبب الاحتفاء بهذا النقش أنه جاء في مضمونه مطابقا للرواية <الكتابية> عن ترميم الهيكل الأول (هيكل سليمان) الذي قام به الملك يهوآش. ووفق الكرونولوجيا <الكتابية> ملك هذا في أورشليم ما بين ٨٣٦ و٧٩٨ ق.م، وفي السنة الثالثة والعشرين لحكمه أمر الكهنة بترميم ما تهدم من البيت فجمع هؤلاء الفضة، وعندما توفرت وحسبوها "دفعوا الفضة المحسوبة إلى أيدي عاملي الشغل الموكلين على بيت الرب وأنفقوها للنجارين والبنائين العاملين في بيت الرب، ولبنائي الحيطان ونحاتي الحجارة ولشراء الأخشاب والحجارة المنحوتة لترميم ما تهدم من بيت الرب ولكل ما ينفق على البيت لترميمه"[٩].

وقد أعلن رسميا عن النقش في الثالث عشر من كانون الثاني ٢٠٠٣، وكانت الجهة التي أعلنته هي مركز "المسح الجيولوجي لإسرائيل" التابع لوزارة البنى التحتية. وكان المسؤولون عن هذا الإعلان ثلاثة باحثين من المركز هم شمعون إيلاني Shimon Ilani، وأمنون روزنفيلد Amnon Rosenfeld، ومايكل دفورشيك Michael Dvorchik، وهم كانوا قد فحصوا النقش وأجروا عليه الاختبارات العلمية اللازمة وثبت لديهم نتيجة ذلك أنه "موثوق به وأصيل".

أما كيف وصل النقش إلى هذا المركز فموضوع روي بما يشبه القصص الدرامية التي تحيط بها أستار من الغموض وتتضمن كثيرا من الأسرار. فقيل إن الحجر عثرت عليه دائرة الأوقاف الإسلامية تحت الحرم الشريف في القدس عندما كانت تقوم بالحفريات تحت الحرم في مطلع سنة ٢٠٠٠، وهي ألقته، دون وعي منها، من جملة ما ألقت من الركام الناتج عن هذه الحفريات في وادي قدرون القريب، وقد عثر عليه هناك "عربي" باعه من تاجر آثار إسرائيلي. ولا تذكر الروايات اسم هذا التاجر ولا تعرف شيئا عن هويته، سوى أنه كان يمثله، في مراحل أخرى من تطورات القصة، محام إسرائيلي مشهور هو إسحاق هيرزوج، وهو نائب سابق في البرلمان الإسرائيلي كما كان مستشارا لرئيس الحكومة إيهود باراك.

وتمضي الرواية بالقول إن مالك الحجر المجهول، أو من يمثله، عرضه في صيف ٢٠٠١ على جوزيف نافيه عالم النقوش المشهور من الجامعة العبرية. وتصف الرواية هذا الحدث كما يلي: "اتصل شخص مجهول بنافيه وطلب منه أن يتأكد من مصداقية النقش. وقد وافق نافيه على أن يراه فأرسل إليه الشخص صورة للنقش، غير أنه بعد أن تفحص الصورة طلب أن يرى

الحجر نفسه. وهكذا التقى نافيه، في موعد حدد لـه، فـي فنـدق فـي القـدس مـع هذا الشخص الإسرائيلي وشاب عربـي ظـل صـامتا خـلال الاجتمـاع... وكـان أمام نافيه متسع من الوقت لفحـص الحجـر... واسـتنتج مـن هـذا الفحـص أن النقش يمكن جدا أن يكون شيئا مزورا"[١٠].

ويبدو أن مالك هذا الحجر المجهول لم يرض بهـذا الحكـم فقـام بعرضـه على المتحف الإسرائيلي للنظر في صدقيته، وبالتـالي بيعـه مـن المتحـف، إلا أن المـسؤولين هنـاك أبلغـوه بـأنهم لا يـستطيعون أن ينفـوا إمكانيـة أن يكـون مزورا[١١]. غير أن هذا "التاجر" لم يقعده اليـأس عـن عـرض بـضاعته فقـام ــ من خلال محاميه إسحاق هيرزوغ ــ بعرض الحجـر (فـي أيلـول ٢٠٠١) علـى مركز "المسح الجيولوجي لإسرائيل" حيث تولى العلمـاء الثلاثـة المـذكورون آنفـا إجراء الفحص "العلمي" اللازم للتأكد من صدقيته، وأعلنـوا بالتـالي (فـي كـانون الثاني ٢٠٠٣) النتائج التي توصـلوا إليهـا وقـالوا إنـه ثبـت لـديهم أن الـنقش صحيح وموثوق.

٣- مصباح الزيت الحجري[١٢]:

مصباح زيتي من الحجـر الكلـسي زعـم أنـه يرجـع إلـى القـرن الأول الميلادي، ويعود إلى الهيكل الثاني، بعد أن جـدد هيـرود الكبيـر بنـاءه. ويتكـون المصباح من سبع شعب مزينة برسوم يهودية. وميزتـه أنـه بالإضـافة إلـى هـذه الشعب السبع، والتي تمثل شكل الشمعادانات التي كانـت مـستخدمة فـي الهيكـل، يشمل أيضا أيقونات تمثل سبعة منتوجات زراعيـة كانـت مقدسـة عنـد اليهـود. كـان المـصباح بحـوزة تـاجر العاديـات الإسـرائيلي عوديـد جـولان

Oded Golan الذي باع جزءا من نصيبه فيه بمئة ألف دولار من جامع آثار إسرائيلي آخر.

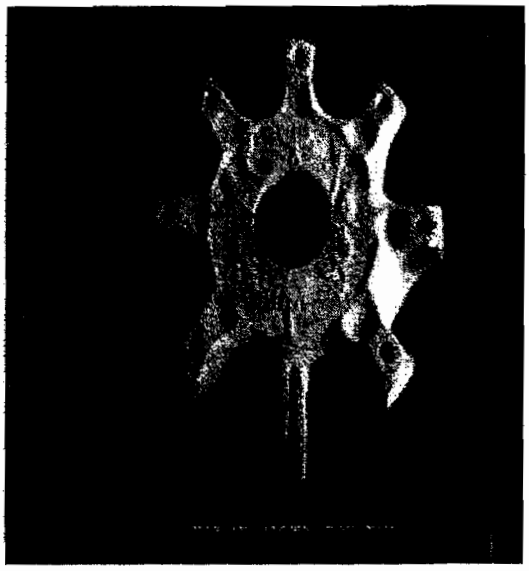

المصباح

وأهمية هذا المصباح أنه دليل فريد على وجود الهيكل كما كان في عهد هيرود الكبير،كما زعم عند الإعلان عنه. وقد تفحص المصباح عدد من العلماء الإسرائيليين (فاردا سوسمان Varda Sussman الخبيرة بالمصابيح الزيتية وشمعون إيلاني Shimon Ilani وأمنون روزنفلد Amnon Rosenfeld وكلاهما من مركز "المسح الجيولوجي لإسرائيل") الذين حكموا بأنه حقيقي وصحيح، فقامت مجلة Biblical Archaeology Review بنشر مقال عنه تحت عناوين مثيرة وعريضة.

٤- كسرتان فخاريتان منقوشتان[١٣]

تسميان عادة بكسرتي فخار شلومو موساييف Shlomo Moussaieff إذ كانت الكسرتان بحوزته، وهو بريطاني ـ إسرائيلي ويعد أكبر جامع آثار منفرد في العالم، ويقيم ما بين لندن وهرتسليا في إسرائيل. وتعود الكسرتان ـ وفق ما نشر عنهما ـ إلى الفترة ما بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد.

تعرف إحدى الكسرتين بـ"وصل التبرع بثلاثة شواقل للهيكل"، وقد نقش عليها ما يلي: "هذا تنفيذ لأمرك أيها الملك أشياهو بأن أدفع بيد زخرياهو ثلاثة شواقل من فضة ترشيش إلى بيت يهوه". ولما كان "الملك أشياهو" مجهولا ولا ذكر له في <الكتاب>، فقد قيل إن هذا الاسم هو تحريف إما لاسم الملك يهوآش أو لاسم الملك جوزيا وهما من ملوك يهودا القديمة.

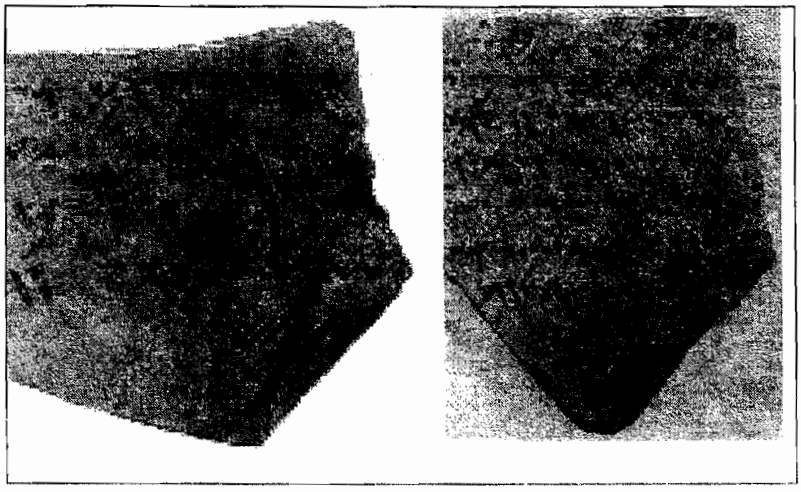

كسرتا فخار موساييف

أما الكسرة الفخارية الأخرى فتعرف بـ "استدعاء الأرملة" وقد نقش عليها ما يلي: "ليباركك الله ويجعلك في سلام. أما الآن فليسمح مولاي الملك

بأن يسمع ما تقول خادمتك. توفي زوجي دون أبناء، فعساك تقدم لي مساعدة بأن تعطي خادمتك قطعة الأرض التي وعدت بها أمسياهو. أما حقل القمح الموجود في نفماش فتعطيه لأخيه".

أعلن عن الكسرتين الفخاريتين لأول مرة في العام ١٩٩٧ عندما اشترك ثلاثة علماء في نشر مقال عنهما في المجلة الأكاديمية المتخصصة بالساميات Semitica، وهم بيير بوردرويل من كلية فرنسا (Pierre Bordreuil of the College de France)، وفليس إسرائيل من جامعة جنوه (Felice Israel of the University of Genoa)، ودنيس باردي من المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو (Dennis Pardee of the Oriental Institute of the University of Chicago). وقد أعقب ذلك مقال آخر عن الكسرتين نشرته مجلة Biblical Archaeology Review، التي قالت إنها لم تنشر المقال إلا بعد أن استشارت ثلاثة علماء أكدوا جميعا أن الكسرتين والنقوش التي عليهما حقيقية وصحيحة، وهم فرانك مور كروس Frank Moore Cross من جامعة هارفارد، وكيل مك كارتر Kyle McCarter من جامعة جونز هوبكنز، والخبيرة المتخصصة أدا ياردیني Ada Yardeni.

وأهمية هاتين الكسرتين في عرف "علم الآثار <الكتابي>" أنهما تشيران إلى الهيكل وإلى ملوك يهودا ما يثبت وجود الهيكل وأولئك الملوك الذين جاء ذكرهم في الروايات <الكتابية>.

٥- إبريق الخمر(١٤)

إبريق من الفخار في حالة جيدة بارتفاع نحو من ٢٣ سم، منقوش عليه "يخص متنياهو. خمر يسكب في طقوس العبادة. ربع".

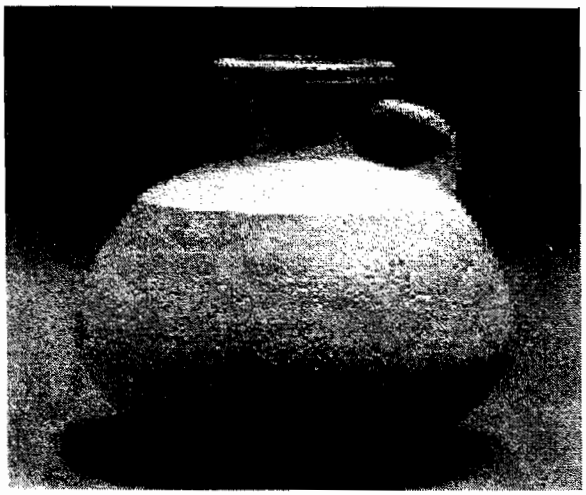

إبريق الخمر

وتعود النقوش ــ وفق ما كتب عنه ــ إلى ما قبل سنة ٦٠٠ ق.م. وقد كان الإبريق في حوزة تاجر العاديات عوديد جولان الذي باعه من شلومو موساييف، جامع الآثار الذي اشرنا إليه سابقا.

وقد ورد أول ذكر لهذا الإبريق في كتاب من تأليف روبرت دويتش Robert Deutsch تاجر الآثار والمدرس في جامعة حيفا وأستاذه ميشيل هلتزر Michael Heltzer الأستاذ في الجامعة نفسها. ويرى هذان أن اسم متنياهو اسم شائع في العبرية إذ يعني "هبة يهوه" ـــ الإله العبراني. وأن هذا ربما كان كاهنا في "الهيكل".

٦- خاتم منشه[١٥]

خاتم من الذهب حمل اسم منشه. ووفق الرواية <الكتابية> كان منشه بن حزقيا ملكا على يهودا من ٦٩٧ إلى ٦٤٢ ق.م.

وتقول أخبار هذا الخاتم إن أحد المواطنين العرب في الضفة الغربية واسمه فايز العملة عرضه على عوديد جولان، تاجر العاديات، وادعى أنه وجده في منطقة الخليل. وقد غالى العملة في الثمن المطلوب الذي فاق إمكانات جولان، فاقترح عليه أن يعرضه على شلومو موساييف، المار ذكره أعلاه. وقد حدث ذلك بالفعل إذ وافق موساييف على شرائه بمبلغ ٨٥٠ ألف دولار، بشرط أن يعطي العملة شيكا مؤجل الدفع بانتظار أن يتأكد من صحة الخاتم وشرعيته. وفي حال ثبوت زيف الخاتم يقوم العملة بإعادة الشيك لموساييف مقابل استعادته الخاتم.

وقد عرض موساييف الخاتم على عدد من الخبراء، منهم روبرت دويتش، وأندريه لومير أستاذ السوربون اللذين أبديا شكوكا في صدقية الخاتم، فأعاده موساييف إلى العملة وأوقف صرف الشيك. إلا أن موساييف أعاد النظر في المسألة وطلب رؤية الخاتم من جديد وهذه المرة بهدف شرائه. إلا أن العملة امتنع وأخفى الخاتم، الذي لم يبق منه غير صورته، وربما قام بتهريبه من إسرئيل وباعه في الخارج.

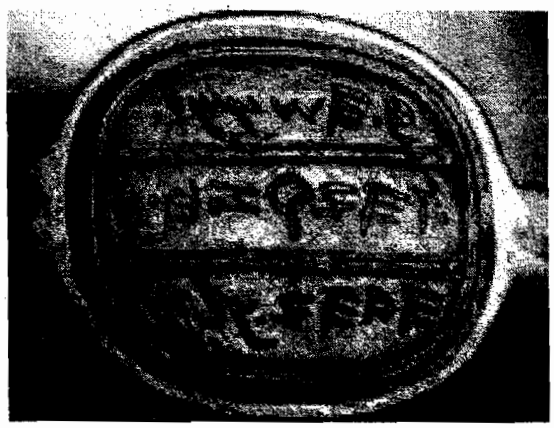

ختم منشه

(٣)
ردود فعل احتفائية

كانت هذه نماذج فقط من لُقى آثارية مزعومة (وسنبين بعد قليل الكشف عن زيفها) أريد بها أن تكون أدلة غير <كتابية>، مستندة إلى حقائق مادية صلبة، على صدقية الحكايات <الكتابية> عن التاريخ اليهودي للقدس. وفي كل مرة كان يتم فيها الكشف عن إحدى هذه "اللقى" كان الاكتشاف يحاط بالاحتفاء بينما ترتفع الهتافات: "ها قد وجدنا دليلا جديدا". وسنكتفي هنا بإيراد مثل واحد على هذا النوع من الاحتفاء وعلى الدلالات التي كان يتم التوصل إليها من هذه "الاكتشافات" الآثارية". والمثل هنا هو ما أثاره "نقش يهوآش" -الذي تكلمنا عنه- من ردود فعل.

مثل النقش مستندا للدفاع عن تاريخية <الكتاب> وأداة لسحب البساط من تحت أقدام من يرفضونه مصدرا للتاريخ أو يشككون في صدقيته

التاريخية. فقد اعتبر النقش مصدرا مستقلا يثبت أن الروايات التي جاء بها <الكتاب> صحيحة. وقد وصف سيلبرمان، الكاتب المتخصص بالآثار، هذا الوضع بقوله: "إنه في الوقت الذي أصبح فيه تاريخ تأليف التاريخ التثنوي[١٦] مسألة خلاف حاد ... يقدم نقش يهوآش إجابة قوية منقوشة في الحجر على أولئك الذين ينكرون أن التاريخ التثنوي يتضمن تسجيلا للحوادث التي وقعت يمكن الاعتماد عليه".[١٧]

وفي التفصيل، اعتبر هرشل شانكس، رئيس تحرير مجلة Biblical Archaeology Review الصادرة من واشنطن، والواسعة الانتشار وعميقة التأثير في الأوساط الأكاديمية التوراتية، أن النقش "تأكيد غير عادي للنص <الكتابي>"، ويؤكد أن النقش يدعم تاريخية سفر الملوك[١٨].

وفي هذا الاتجاه نفسه ذهب غابرييل باركاي أستاذ الآثار في جامعة بار إيلان (بإسرائيل) الذي رأى أن النقش ــ في حال إثبات صدقيته ــ هو أكثر اللُقى الآثارية أهمية في القدس وفي إسرائيل فهو "الدليل المادي الأول من نوعه الذي يصف الأحداث بأسلوب متفق تماما مع الروايات التوراتية"[١٩]. كما ذهب باركاي إلى أن هذه هي المرة الأولى التي توثق فيها "السلالة الداوودية" في مراحلها الأولى في مصدر غير <كتابي>[٢٠].

غير أنه إلى جانب هذه الأهمية التي أظهرها النقش لفريق المتمسكين بصحة الحكايات <الكتابية> التي يراد للوحة "المكتشفة" تسويغها فقد احتلت مسألة إثبات تاريخية "الهيكل" مكانة أبرز في جملة اهتماماتهم. فوفقا لبركاي فقد وفر النقش الدليل على وجود الهيكل، وبذلك ينبغي أن يتاح للعلماء فحصه، وألا يبقى محاطا بالسرية[٢١]، في إشارة إلى حالة الغموض الدرامي التي لفعت بها قصة "اكتشافه".

أما شانكس فقد أراد من النقش أن يكون محورا في النزاع القائم حول "جبل الهيكل"، أو بتعبير أصح موقع المسجد الأقصى. فقد كتب في المجلة التي يرأس تحريرها: "إذا ثبتت صحة النقش فهو يقدم الدليل على حق مطالبة إسرائيل بجبل الهيكل، أما إذا كان مزورا فهذا يعني أن إسرائيليا ما كان يحاول أن يصنع دليلا على حق إسرائيل بالمطالبة بجبل الهيكل، أو ربما أن فلسطينيا ما كان يحاول أن يغرس شيئا مزورا لكي يقوض به حق إسرائيل المفترض في المطالبة بجبل الهيكل"(٢٢). غير أن هذه الاحتمالات التي أوردها شانكس لا تبطل رأيه في ترجيح أن يكون النقش صحيحا(٢٣).

أما الأكثر وضوحا وصراحة من هذه الآراء التي طرحها كل من بركاي وشانكس عن أهمية النقش في إثبات الأسطورة التوراتية عن "الهيكل"، فكانت الحملة التحريضية التي قادتها منظمة "أمناء جبل الهيكل" لترويج أفكارها انطلاقا من هذا "الاكتشاف". وهذه المنظمة اليهودية المتطرفة التي قامت نواتها الأولى بعد حرب ١٩٦٧، تقوم أفكارها، من جملة أمور أخرى، على ركيزتين:

الأولى "تحرير جبل الهيكل من الاحتلال العربي (الإسلامي)" وبذلك فإنه من الواجب هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وإعادة بنائهما في مكة،

والثانية "بناء الهيكل الثالث وفقا لكلمات جميع الأنبياء العبرانيين"(٢٤).

وقد تمسكت المنظمة بالنقش "المكتشف" معتقدة اعتقادا جازما بصحته وبأنه فعلا من عمل "الملك" يهوآش، وبأنه "أهم الاكتشافات الأثرية في تاريخ أرض إسرائيل والقدس وأكثرها إثارة". واستنادا إلى ذلك اعتبرت المنظمة أن

هذا الاكتشاف إنما هو "رسالة من الله بعثها إلى جيلنا من خلال الملك يهوآش قائلا: لقد حان الوقت لبناء بيت للرب... وبذلك فإن من واجب الشعب في إسرائيل أن يبني بيته [بيت الرب]... كما أنه لن يسمح لأي شخص في إسرائيل بل في العالم أجمع بأن يقف موقفا سلبيا تجاه هذا المشروع الفائق الأهمية على مدى الأزمان".

وقد حذرت المنظمة العرب من أن يقفوا في وجه هذه "الرسالة الإلهية"، قائلة:

"إن جبل الهيكل ما يزال مليئا ببقايا الهيكل ومواده المقدسة، لذلك نحذر الأعداء العرب المتوحشين الموجودين على جبل الهيكل من محاولة المس بها أو تحطيمها. ذلك بأن أعين إله إسرائيل وقلبه وعنايته موجهة، ليل نهار، إلى شعبه، وإلى أرضه التي وهبها إلى إسرائيل، وإلى أورشليم، وإلى جبل الهيكل الذي هو أقدس موقع في الدنيا. وهكذا فإن من الأفضل لهم أن يحذروا ويخشوا غضب الله وحكمه عليهم. فإله إسرائيل ينصحهم بأن يتركوا جبل الهيكل وشأنه وينأوا بأنفسهم من موقع الإله المقدس وهيكله. فالله عازم على أن يعيد بناء الهيكل، ولن يسمح لأعدائه بأن يوقفوه عن ذلك"[٢٥].

انهيار الأحلام

غير أن نشوة ذلك "الاكتشاف" لم تدم طويلا لدى أصحابها، فقد انهار كل شيء فجأة وبشكل سريع. وكان ذلك عندما تبين أن نقش يهوآش واللُقى الآثارية الأخرى التي أشرنا إلى نماذج منها كانت مزيفة ليتداعى تباعا ذلك التاريخ الذي اخترعه كتبة <الكتاب> للقدس والذي كان يراد من تلك اللُقى أن تقيم الدليل المادي على حقيقة وجوده.

بدأ الانهيار بنقش يهوآش نفسه وبأثر آخر كان قد احتفي به احتفاء جليلا منذ أواسط تسعينيات القرن الماضي باعتباره الدليل المادي الوحيد على الوجود التاريخي للسيد المسيح. كان هذا الأثر عبارة عن صندوق حجري مما كان يستخدم في العصر الروماني لحفظ عظام الموتى (يعرف باللغة الإنجليزية بلفظ ossuary) وهو بطول ٢٠ بوصة وعرض ما بين ١٠ بوصات و١٢ بوصة، وقد نقش عليه عبارة "جيمس بن يوسف أخو يسوع". وقد جاءت هذه العبارة لتؤكد بعض الروايات الدينية التي تقول بأن السيد المسيح كان له أخ من يوسف ومن السيدة مريم يدعى جيمس، والذي ذكر عنه المؤرخ اليهودي الروماني في القرن الأول الميلادي فلافيوس جوزيفوس أنه رجم حتى الموت سنة ٦٣م. كان هذا الصندوق من ممتلكات عوديد جولان، تاجر الآثار الإسرائيلي الذي أشرنا إليه غير مرة، وقد عرض على بعض المختصين في إسرائيل الذين أفتوا بشرعيته. وكذا فعل أندريه لومير الأستاذ بجامعة السوربون عندما نشر عنه دراسة في Biblical Archaeology Review التي كان رئيس تحريرها هرشل شانكس قد تبنى الصندوق وقام بحملة ترويجية له في مجلته.

وعلى الرغم من ذلك، أثار الأثران (نقش يهوآش وصندوق جيمس كما عرف) شكوك كثير من علماء اللغات السامية القديمة الذين وجدوا في النصين المنقوشين عليهما كلمات واستخدامات لغوية لم تكن معروفة في الزمنين المفترضين للأثرين (القرن التاسع قبل الميلاد بالنسبة للنقش والقرن الأول الميلادي بالنسبة للصندوق) بل هي حديثة دارجة في اللغة العبرية المعاصرة كما هي الحال في نص نقش يهوآش، وخليط من كلمات تعود للغات قديمة مختلفة كما هو الوضع في نص الصندوق.

وغير ذلك قام يوفال غورين Yuval Goren، رئيس دائرة الآثار وثقافات الشرق الأدنى القديمة في جامعة تل أبيب، بدور رائد في التعامل مع الأثرين عندما أخضعهما (سنة ٢٠٠٣) لاختبارات علمية دقيقة استخدم فيها وسائل تكنولوجية متقدمة في فحص الآثار، أوصلته في النهاية إلى إثبات زيفهما[٢٦]. وقد مهد غورين بعمله هذا الطريق لغيره من العلماء من مختلف التخصصات لإعادة النظر في الأثرين ما جعلهم يخرجون بنتائج قاطعة في تأكيد تزويرهما.

غير أن النتيجة الأكثر إثارة كانت في استجابة سلطة الآثار الإسرائيلية للضجة التي أثارها العلماء الذي كتبوا عن هذين الأثرين المزيفين، فقامت بتشكيل لجنة علمية لفحصهما، مكونة من لجنتين فرعيتين: إحداهما لفحص الكتابة على الأثرين والثانية لفحص المواد خاصة غشاء التعتيق The patina. وقد ضمت اللجنة بفرعيها علماء وخبراء في الآثار وعلم النقوش واللغات القديمة والجيولوجيا وعلم الصخور من الجامعات الإسرائيلية المختلفة ومن سلطة الآثار الإسرائيلية ومن مركز المسح الجيولوجي لإسرائيل. وقد بدأ هؤلاء عملهم في أواخر شهر آذار ٢٠٠٣ وأعلنوا عن

نتائج ما توصلوا إليه في اجتماع عقدته اللجنة المشتركة في ١٥ حزيران ٢٠٠٣، والتي كانت خلاصتها أن الأثرين مزوران[٢٧].

كانت تلك هي بداية انهيار أحلام من أرادوا أن يثبتوا وجود الهيكل بلوحة حجرية مزيفة عرفت بنقش يهوآش. وفي تعليق على ما توصلت إليه تلك اللجنة من نتائج نشرت مجلة علم الآثار Archaeology الصادرة عن معهد أميركا لعلم الآثار Archaeological Institute of America مقالا ذا قيمة عالية في دلالته على هذا الانهيار، جاء فيه: "انتهى الأمر بالمشغولتين بأن تكونا مزورتين، وهي ضربة لأولئك الذين دافعوا بشدة عن أن النقش برهان على صحة <الكتاب> التاريخية"[٢٨].

كذلك كتب يوفال غورين ونيل أشر سلبرمان، المورخ في مركز إنمان للآثار العامة في بلجيكا، في المجلة نفسها:

إن القصة التي ابتدأت بنفخ أبواق الانتصار الروحي انتهت بأن أصبحت مسرحية هزلية مزعجة... إن خداع النفس المرائي دينيا وادعاء العلم والفساد التجاري الذي رافق صعود وسقوط هذه الآثار بسرعة الشهاب يقدم درسا لكل من يحاول، بأي ثمن، أن يجند علم الآثار للبرهنة على أن <الكتاب> صحيح"[٢٩].

بعد هذين "الأثرين" يأتي دور إثبات زيف الرمانة العاجية، أثمن قطعة أثرية، ماديا ومعنويا، في المتحف الإسرائيلي في القدس الذي كان يتباهى بوجودها ضمن معروضاته. وقد انطلقت الشكوك فيها من ارتباطها بعوديد جولان وهو صاحب "صندوق جيمس" الذي ثبت تزويره، فلم لا يكون له دور

مماثل في تزوير غيره من "اللُقى" الأثرية، ومنهـا هـذه الرمانـة؟ وهكـذا تولى فحـصها يوفـال غـورين الـذي أخـذت وسـائل الإعـلام تـصفه آنـذاك بـ"التحري الآثاري"، بعد أن نجح في إثبات زيـف نقـش يهـوآش. وهكـذا فعـل مع الرمانة، إذ تبين له، وفريق المختصين الذين عملـوا معـه، أن الرمانـة نفـسها قديمة إلا أن الكتابة المنقوشة عليها حديثة لا تنتمي بحـال إلـى "عـصر الهيكـل"، وأن شخصا ما التقط تلك الرمانة القديمة ونقش عليهـا العبـارة التـي تـدل علـى أنها كانت من موجودات الهيكل. وقد أقـرت سـلطة الآثـار الإسـرائيلية بالنتـائج التي توصل إليها غورين وفريقه وأعلنت أن الرمانـة مزيفـة، وإن كانـت قـررت إبقاءها معروضة في المتحف كنموذج لأعمال التزييف[٣٠].

ومع سقوط هذا الأثر ــ الرمز توالـت حلقـات "مسلـسل التحريـات" الـذي كان من أبرز نجومه غـورين نفـسه، وإن شـاركه البطولـة عـدد مـن العلمـاء والمختصين في الآثار واللغات الـسامية وعلـم النقـوش القديمـة الـذين كلفـتهم سلطة الآثار الإسرائيلية بفحص كل أثر تبدو عليـه شـبهة التزويـر. ولـم تـنقض سنة ٢٠٠٤ حتى كانت الحصيلة بضعة عشر تحفـة مـزورة، كـان أبرزهـا تلـك التي جاء وصفها أعلاه[٣١].

محاكمة القرن

وقد أثار الإعلان عن حقيقة التزوير في هـذه الموجـودات ضـجة لـدى الأوساط الأكاديمية المهتمة بالآثار وصفت بالهستيريا الآثاريـة، التـي لـم تقتـصر على إسرائيل فحسب بل وصل صداها المدوي إلى العـالم الخـارجي. وفـي ظـل هذه الأجواء أقدمت سلطة الآثار الإسـرائيلية علـى إجـراء غريـب مـن نوعـه عندما رفعت دعوى قضائية (في كانون الأول ٢٠٠٤) أمـام محكمـة فـي القـدس على خمسة أشخاص تتهمهم بتزوير الاثار والتكسب منهـا وهـي: نقـش يهـوآش،

الرمانة العاجية، صندوق جيمس، مصباح الزيت الحجري، إبريق الخمر، خاتم منشه، وصل التبرع لليهكل بثلاثة شواقل، استدعاء الأرملة وبضعة "آثار" أخرى أقل اهمية. وقد جاء في الدعوى أن هؤلاء الخمسة (سنذكرهم بعد قليل) يشكلون عصابة تآمرت على تزوير الآثار التي تنسبها لعصر الهيكل وقد جنت من ذلك ملايين الدولارات. وطلبت الدعوى، التي كانت تقع في مئات من الصفحات، استماع المحكمة إلى عدد كبير من الشهود بلغ نحوا من ١٢٠ شاهدا من الخبراء والمختصين وأساتذة الجامعات من داخل إسرائيل وخارجها. أما المتهمون الخمسة فهم[٣٢]:

(١) عوديد جولان الذي يقال عنه أنه يمتلك أكبر كمية من الآثار في إسرائيل وكان قد بدأ بجمعها منذ أربعين سنة. وهو تاجر عاديات، كذلك له نشاط في سوق العقارات.

(٢) روبرت دويتش Robert Deuthch: هاجر إلى إسرائيل من رومانيا سنة ١٩٦٣ ويعمل في تجارة الآثار وله محلات للبيع في كل من يافا وتل أبيب. وفي الوقت نفسه تخصص في علم النقوش حتى أصبح خبيرا فيه، كما له معرفة جيدة بعلم الآثار عامة. وهو بهذه الصفة يدرّس علم النقوش في جامعة حيفا، وله عدد من الدراسات المنشورة في هذا الميدان.

(٣) رفائيل براون Rafael Brown كان يعمل محافظ آثار رئيسيا في المتحف الإسرائيلي لعدة سنوات، واستقال من وظيفته ليشتغل في تجارة العاديات. وقد افتتح محلا لذلك في القدس ثم باعه واستقر في سويسرا.

(٤) شلومو كوهين Shlomo Cohen كان هو الذي اشترى محل بيع العاديات من بروان عندما انتقل هذا إلى العيش في سويسرا. وهو الآن متقاعد وقد أغلق محله.

(٥) فايز العملة: فلسطيني من الضفة الغربية كان هو الذي عرض على عوديد جولان وشلومو موساييف "خاتم منشه" وبضعة عشر خاتما من طين.

وقد وصف شوكا دورفمان Shuka Dorfman، رئيس سلطة الآثار الإسرائيلية تقديم خمسة متهمين بالتزوير إلى المحكمة بقوله:

يبدو أن مدى التزوير أوسع مما اكتشف حتى الآن، فعصبة التزوير كانت تعمل على امتداد ما يزيد عن عشرين سنة. لقد اكتشفنا قمة جبل الجليد فقط، أما الجبل فهو باتساع العالم... لقد جنى المزورون ملايين الدولارات، وهم يريدون أن يغيروا التاريخ"[٣٣].

وصفت محاكمة المتهمين بالتزوير بأنها "محاكمة القرن"[٣٤]. وقد أعلن عن تشكيلها في كانون الأول ٢٠٠٤، واستمع أعضاؤها إلى أكثر من ثمانين شاهدا ما بين علماء آثار وأساتذة جامعات وتجار عاديات من إسرائيل وخارجها. وقد أدرجت شهادات هؤلاء، بالإضافة إلى لائحة الاتهام، فيما يزيد عن عشرة آلاف صفحة. وفي تلك الأثناء أسقطت الدعوى عن ثلاثة متهمين (رفائيل براون وشلومو كوهين وفايز العملة) وانحصر الاتهام في اثنين فقط (عوديد غولان وروبرت دويتش) باعتبارهما زعيمي عصابة التزوير. وفي تشرين الأول من العام ٢٠٠٨ أعلن عن تأجيل المحاكمة إلى كانون الثاني ٢٠٠٩، إلا أن الاخبار عن المحاكمة أصبحت شحيحة، وكان آخر ما توصلنا إليه منها هو ما نشر في ٣١ آذار ٢٠٠٩، وقد ظهر من ذلك أن المحاكمة كانت ما تزال تراوح مكانها[٣٥].

كشف المستور

على كل حال، ومهما كان قرار المحكمة فإن السؤال المركزي الذي ينبغي طرحه هو هل القضية هي قضية "عصابة" احترفت التزوير بهدف الإثراء، أم هي أكثر عمقا وأوسع مدى من ذلك، مدى يشكل ثقافة قامت هي نفسها على الزيف، فكان أن زورت تاريخ القدس كله، وليس آثارها فحسب، وهي التي ينبغي أن تقف في قفص الاتهام وتدان، وما عوديد غولان وروبرت دويتش وغيرهما ممن يشبهونهما بفعلتهما إلا نتاجها وبعض تجلياتها.

لقد كشفت قضية تقديم المتهمين إلى المحاكمة وما أثارته من ردود أفعال أوجها عديدة من مضمون هذه الثقافة القائمة على الغش والتزوير والتزييف، كما رفعت الغطاء عن كثير من المسائل المتصلة بـ"الآثار اليهودية" التي كانت خافية، أو مسكوتا عنها، وسنلم ببعضها كما يلي:

١- أصبحت موجودات المتحف الإسرائيلي في القدس من تحف وآثار تتصل بـ"عصر الهيكل" عرضة للتشكيك، إذ أن نسبة كبيرة منها مزورة. وفي هذا يقول إريك ميرز Eric Meyers أستاذ الآثار في جامعة ديوك في الولايات المتحدة ومحرر موسوعة أكسفورد لآثار الشرق الأدنى Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East تعقيبا على ما تكشف في قضية تزوير الآثار:

> "ثمة تقديرات عالية تصل إلى أن ٣٠ أو ٤٠ بالمئة من المواد التي تحمل نقوشا في المتحف الإسرائيلي [في القدس] كان قد جرى تزويرها...

وليس هناك من شك في أن إسرائيل وسلطة الآثار فيها تواجهان أسوأ أزمة أخلاقية في تاريخ الدولة، أو في تاريخ علم الآثار الحديث"(٣٦).

٢- ليست موجودات المتحف الإسرائيلي هي وحدها التي أصبحت عرضة للتشكيك، بل وصل الأمر أيضا إلى متاحف العالم التي تضم بالتأكيد موجودات تشمل هذا النوع من "الآثار اليهودية". وقد أخذ الخبراء يحذرون المتاحف العالمية من تلك الآثار التي بحوزتها والتي تنتمي إلى "عصر الهيكل"(٣٧).

٣- أخذت الحملة على"الآثار اليهودية" القديمة في طريقها شيئا من "آثار" الصهيونية الحديثة، وبالتحديد آثار ما يسمى المحرقة Holocaust (وهو العنوان الذي أدرجت تحته الصهيونية أعمال الاضطهاد التي قامت بها النازية ضد اليهود في أوروبا في أثناء الحرب العالمية الثانية). وعلى الرغم من أن الحديث في هذا الموضوع يعد من المحرمات إلا أن الكشف عن الآثار القديمة المزورة أوجد مناخا ملائما لظهور من يجرؤ على توجيه السهام لآثار المحرقة مظهرا ما فيها من زيف وتزوير. وهذا ما فعلته جين والش Walsh Jane عالمة الأنثروبولوجيا (علم الإناسة) في المتحف السميثسوني القومي للتاريخ الطبيعي (في واشنطن) Smithsonian's National Museum of Natural History (وهي نفسها تعمل مع عدد من المتاحف العالمية في الكشف عن الآثار المزورة) عندما أعلنت أن بعض "الآثار" المحفوظة في "متحف المحرقة" في إسرائيل هي أعمال مزيفة، وأعطت مثلا على ذلك شارات تحمل رسوم "نجمة داوود" وملابس خاصة بالسجناء، وهي كانت قد صنعت لكي تستخدم في بعض

الأفلام السينمائية التي كانت قد أنتجت في هوليوود، إلا أن متعاملين بالآثار باعوها إلى "متحف المحرقة" باعتبارها تحفا أثرية حقيقية(٣٨).

٤- أدى كشف الأثار المزورة ببعض الأكاديميين إلى إعادة النظر في آثار أخرى، سبقت هذا الكشف، وكانت قد نشر عنها في كتب علمية. ومن ذلك كتاب ضخم (٦٤٠ صفحة) لنحمان أفيجاد Nahman Avigad (١٩٠٥-١٩٩٢)، الذي يعد من أكبر علماء الآثار الإسرائيليين وأشهرهم في علم النقوش القديمة، وقد أورد فيه مئات من الأختام التي تنتمي إلى اللغات السامية الغربية، وقامت بنشره في العام ١٩٩٧، وبتحرير من بني ساس Bennie Sass، الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم والإنسانيات تحت عنوان Corpus of West Semitic Stamps and Seals . وفي أعقاب انكشاف فضيحة التزوير أعلن بني ساس أنه سوف يعيد الاشتغال بهذا الكتاب ليتفحص كل ما نشر فيه(٣٩).

٥- كانت عمليات التزوير تأخذ شكل "مشاريع الأعمال" Business التي يشارك فيها علماء بالآثار واللغات القديمة والنقوش وعلماء فيزياء وكيمياء، بالإضافة إلى تجار تحف وعاديات وجامعي آثار قديمة. ولولا مشاركة مثل أولئك العلماء في هذه التجارة لما كان لمثل تلك الآثار المزورة أن ينطلي أمرها على خبراء لإتقان صناعتها. وكانت هذه المشاريع تدر أرباحا مذهلة، إذ بيعت بعض هذه المزورات بمئات آلاف الدولارات. وقد ظهرت هناك بعض المؤشرات، بعد أن انكشف أمر التزوير، إلى تورط بعض العلماء في عملية التكسب هذه. فوفقا لما قاله إريك مايرز، عالم الآثار الذي

كنا أشرنا إليه أعلاه، فإن العالم الذي يصادق على "صحة" هذا الأثر المزور "يقبض من تحت الطاولة"(٤٠).

كذلك ظهرت تلميحات إلى انغماس هرشل شانكس رئيس تحرير المجلة المتخصصة بالآثار <الكتابية> Biblical Archaeology Review في عالم "البزنس" هذا. فقد أشير إلى أن الرمانة المزورة (التي كتبنا عنها أعلاه) باعها صاحبها الأصلي (الذي صنعها) بثلاثة آلاف دولار، غير أن سعرها ارتفع إلى أكثر من نصف مليون دولار (وهو ما دفعه المتحف الإسرائيلي ثمنا لها) بعد أن نشر عنها شانكس مقالات عدة في مجلته، كتبها هو أو كتبها آخرون بتكليف منه. لهذا، ولسوابق أخرى، دعا أحد العلماء في سلطة الآثار الإسرائيلية (جو زياس Joe Zias) إلى فرض المقاطعة على جميع العلماء الذي يكتبون في تلك المجلة، أو يحضرون أيا من المؤتمرات العلمية التي تعقدها(٤١).

إن ما تكشف حتى الآن هو بالتأكيد قمة جبل الجليد، غير أن الأمر الأكثر إيجابية في كل ما أثير حول هذه القضية هو أن جانبا مهما من الوسط الأكاديمي لم يعد لديه الاستعداد لأن يتقبل بالتصديق الأطروحات الصهيونية المغلفة بالخرافة <الكتابية> عن تاريخ القدس القديم.

الحواشي

(١) نشر "المكتشفان" دراسة مطولة عن النقش بجزئيه كما يلي:

Avraham Biran and Joseph Naveh, "The Tell Dan Inscription: A New Fragment", *Israel Exploration Journal,* Vol. 45, No. 1 (1995).

(٢) انظر مثلا على هذا النقد كما يلي:

Philip R. Davies, House of David Built on Sands: The Sins of the Biblical Maximalists", *Biblical Archaeology Review,* 20: 04 (July/ August 1994).

(3) Giovani Garbini, "The Aramaic Inscription from Tel Dan", translated by Ian Hutchsson, as maintained on server: www.geocities.com. The original article appeared in: *Atti della Accademia Nazionale dei Lincei. Rendiconti, Sceinze Morali,*vol.s.9 (1994), pp. 461-471.

(٤) جاء الإعلان في حملة إعلامية مكثفة شملت صحفا ووكالات أنباء عدة، كما تولى الترويج له بشكل خاص مركز شالم The Shalem Center الذي تعد مازار إحدى ركائزه الأساسية (كنا قد تحدثنا عنه في الفصل الثاني أعلاه)، ومجلة علم الآثار <الكتابي> Biblical Archaeology Review ذات الانتشار الواسع. والمعلومات في المتن اعلاه عن هذا الختم إنما هي من هذين المرجعين

(٥) نشر الخبر مطولا وعلى شكل مقالة مفصلة على موقع سلطة الآثار الإسرائيلية (www. antiquities. org.il) تحت العنوان التالي:

A Silver Coin That Was Used To Pay The Half Shekel Head-Tax To The Temple Was Found in Jerusalem (March 18, 2008).

(٦) نشرت سلطة الآثار الإسرائيلية (في تشرين الأول ٢٠٠٧) تقريرا مفصلا عن هذا "الاكتشاف" مع صور للشظايا على موقعها www. antiquities. org.il. كذلك لإيصال الرسالة المقصودة بهذا "الاكتشاف" إلى الأوساط الدولية خارج إسرائيل، نشر التقرير نفسه على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية www. mfa.gov. il تحت العنوان المثير التالي:

Archaeological Remains Dated To The First Temple Period Discovered On The Temple Mount (21 October 2007).

(٧) جاء وصف هذه الرمانة وقصتها في غير مرجع، وقد اعتمدنا المرجع التالي، ملخصا، لأنه الأوفى:

Biblical Archaeology Review, 31: 02 (March/ April 2005).

(٨) وردت أوصاف للنقش في عدد من التقارير منها:

Hershel Shanks, "Is It or Isn't? King Jehoash Inscription Captives Archaeological World", *Biblical Archaeological Review* (March/ April 2003); *Forward* (January 31, 2003); Nadav Shragai, "Sensation or Forgery? Researchers Hail Dramatic First Temple Period Finding", *Haaretz* (English e-edition, January 13, 3003).

كذلك نشر النص ألكترونيا باحرفه الفينيقية وترجمتان له إلى العبرية الحديثة والإنجليزية على الموقع التالي:

www. web. infoave. net.(The transcription is the work of Jack Kilman).

وكان الباحث الحالي قد كتب دراسة عن هذا النقش نشرت كما يلي: "نقش الملك التوراتي يهوآش: نموذج لتزوير التاريخ الفلسطيني"، مجلة **البصائر**، المجلد ٧، العدد ٢ (أيلول ٢٠٠٣)، ص ص. ٩-٣٦.

(٩) سفر الملوك الثاني ١٢: ٦، ٧، ١٠-١٢.

(10) Shanks, *op. cit.*

(11) B.A. Robinson, "Jehoash Inscription: 9th Century BCE Relic or 20th Century Forgery?" maintained on server: www. religioustolerance.org. Originally written January 19, 2003, latest update: March 18, 2003.

(١٢) الوصف كما أورده:

Yuval Goren, "The Jerusalem Syndrome in Biblical Archaeology", *Society of Biblical Literature (SBL) Forum*, as maintained on server: www. sbl-site.org

(١٣) أكثر التقارير تفصيلا عن هاتين الكسرتين نشرتها:

Biblical Archaeology Review, 29:03 (May/ June 2003), and *Biblical Archaeology Review*, 31:02 (March/ April 2005.

(14) *Biblical Archaeology Review*, 31:02 (March/April 2005).

(١٥) المرجع نفسه.

(١٦) ينسب التاريخ التثنوي Deuteronomic History إلى سفر التثنية، السفر الخامس من أسفار التوراة، إلا أنه يقصد به إجمالا الروايات "التاريخية" التي أدرجت في الأحد عشر سفرا بدءا من السفر الثاني (سفر الخروج) حتى السفر الثاني عشر (سفر الملوك الثاني).

(17) Neil Asher Silberman, "On Relics, Forgeries and Biblical Archaeology", in *Religious Studies News (SBL edition)*, Vol. 4, No. 2 (February 2003).

(18) Hershel Shanks, "Is It or Isn't", *Biblical Archaeology Review* (March/ April 2003).

(19) Cited in: Nadav Shargai, *op.cit.*

(20) Cited in: *Times Online* (January 19, 2003).

(21) Cited in: Nadav Shangai, *op.cit.*

(22) Shanks, *op.cit.*

(٢٣) ظهر هذا الترجيح واضحا في: **المرجع نفسه**، كذلك فيما ما كتبه كما يلي:

Hershel Shanks, "Between Authenticity and Forgery", *Religious Studies News (SBL edition),* Vol. 4, No. 2 (February 2003).

(٢٤) تعلن هذه المنظمة عن أفكارها وأهدافها على الإنترنت كما يلي:

"Long Term Objectives", as maintained on server: www. Templemountfaithful.org.

(25) "A Major Exiting Information about the King Jehoash Inscription Found on the Temple Mount", as maintained on server: www. Templemountfaithful. org/news/2003014.htm

(٢٦) نشر غورين عدة دراسات ومقالات عن النتائج التي أوصلته إليها اختباراته على الأثرين، منها:

- Yuval Goren, "An Alternative Interpretation of the Stone Tablet with Ancient Hebrew Inscription Attributed to Jehoash, King of Judah", February 2003,

- Yuval Goren, "The Jerusalem Syndrome in Archaeology: Jehoash to James" (January 2004), both posted on: www. bibleintrep. com (The Bible and Interpretation).

(٢٧) نشرت سلطة الآثار الإسرائيلية تقريرا ضافيا عن عمل اللجنة وأسماء أعضائها والنتائج التي توصلوا إليها على موقعها: www.antiquities.org.il، والتقرير

من إعداد عوزي دهاري Uzi Dahari نائب المدير العام للسلطة ومنسق اللجنة، وقد جاء بالعنوان التالي:

Final Report of the Examining Committees for the Jehoash Inscription and James Ossuary, to: Shuka Dorfman, Director-General- Israel Antiquities Authority.

(28) Peter A. Young, "Dangerous Deception", *Archaeology,* Vol. 56, Issue 5 (September/ October 2003).

(29) Neil Asher Silberman and Yuval Goren, "Faking Biblical Archaeology, *Archaeology,* Vol. 56, Issue 5 (September/ October 2003).

(30) *Near Eastern Archaeology*, 68:1-2 (2005).

(٣١) نشرت قائمة بهذه الآثار المزورة مع وصف لكل منها في عدد من المراجع منها:

Biblical Archaeology Review, 31: 02 (March/ April 2005).

Near Eastern Archaeology, 68:1-2 (2005).

(٣٢) المعلومات الشخصية عن هؤلاء الخمسة كما هي في:

Biblical Archaeology Review, 31:02 (March/ April 2005).

(33) *Associated Press*. January 2, 2005.

(٣٤) هكذا وصفت مجلة "علم الأثار" تلك المحاكمة في عنوان مقال لها عنها، انظر:

"The Buzz: Trial of the Century", *Archaeology,* Vol. 58, Issue 2 (March/ April 2005).

(35) *Jerusalem Post*, March 31, 2009.

(36) Cited in: Ann Byle, "Finds or Fakes: Duke Professor Claims, A Third of Israel Museum's Inscriptions Are", *Biblical Archaeology Review*, 30:05 (September/ October 2004).

(37) *Associated Press*, January 2, 2005.

(38) Jane Walsh, "Hunting Fakes", interview with: *Archaeology*, Issue I, Vol. 58 (January/ February 2005).

(39) Quoted in: "Forgery Fallout", *Archaeology*, Issue 2, Vol. 58 (March/ April 2005).

(40) Quoted in: *Ibid.*

(41) "Zias Calls for Boycott of BAR Authors and Lecturers", *Biblical Archaeology Review*, May/ June 2005, p. 51.